

المونيتور: قاعدة أردوغان لم تتأثر بالمنعطفات مع استعداد تركيا لاستضافة السيسي



اهتم موقع المونيتور بزيارة السيسي المحتملة لتركيا هذا الأسبوع ومدى تأثير ذلك على شعبية أردوغان، وذلك بعد التقارب الأخير بين البلدين الذي أنهى سنوات من القطيعة..

ذكر الموقع في مستهل تقريره بأن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وصف الرئيس المصري بأنه قاتل وحشي وتعهد بعدم مصافحته أبداً بسبب الإطاحة بالرئيس الراحل محمد مرسي وسجنه بعد عام واحد فقط من وصوله للسلطة عام 2012.

وتفيد تقارير أن أردوغان يستعد هذا الأسبوع لاستضافة الرئيس عبد الفتاح السيسي، الذي اتهمه بدوره بـ "دعم الإرهابيين" من بين جرائم أخرى. وفقاً لتقارير غير مؤكدة في وسائل الإعلام التركية، قد يصل السيسي إلى العاصمة التركية يوم الخميس، بعد أيام من تبادل الدول السفراء لأول مرة منذ الإطاحة بمرسي.

التواصل مع الخصوم السابقين

ويلفت الموقع إلى أن التحول هو الأحدث في سلسلة من التحركات المماثلة التي شهدت تواصل أردوغان مع خصومه السابقين، بما في ذلك ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، ورئيس الإمارات العربية المتحدة محمد بن زايد آل نهيان وعدوه الأخير، بشار الأسد.

يُشار عادةً إلى ضعف الاقتصاد التركي والعزلة الدبلوماسية على أنهما المحركان الرئيسيين للتغيير. ولكن، وحسب ما يتساءل الكاتب، كيف نفسر السهولة التي غير بها مساره، في مواجهة معارضة شعبية قليلة، إن وجدت؟

بعد كل شيء، أدى دعم أردوغان القوي للفلسطينيين والمعارضين الإسلاميين الذين يسعون للإطاحة بالديكتاتوريين إلى تدمير علاقات أنقرة مع تلك الأنظمة، لكنه جعله بطلاً بين ملايين المسلمين المحافظين في جميع أنحاء العالم.

وفي الداخل، منح ذلك الموقف الرئيس التركي منصة أخلاقية سمحت لقاعدته بضبط مزاعم الفساد الهائل وإعادة تصور تركيا الحديثة كحامية للشعوب المسلمة، كما كانت تحت أسلافهم العثمانيين. لكن أياً من حملاته تلك لم يكن لها صدى مثل تلك التي كانت ضد السيسي، الذي أُنذر استيلائه الدموي بانتهاء الربيع العربي.

وأوضح الكاتب أن طرح مثل هذه الأسئلة هو أمر ساذج، وفقاً لمن هم على دراية بالحركة الإسلامية في تركيا. يتذكر عثمان سرت، مدير الأبحاث في بانورامتر، وهي مؤسسة فكرية مقرها أنقرة، أن تحولات أردوغان لا تقتصر على السياسة الخارجية. على سبيل المثال، على الرغم من معارضته الشديدة لأسعار الفائدة - فهو يفضل إلغاءها تماشياً مع التعاليم الإسلامية - سمح أردوغان لرفيقه الجديد المكلف بإصلاح الاقتصاد برفعها.

ثقة كبيرة

وأشار الكاتب إلى أن المحللين يبحثون عن إجابات فيما يتعلق بعلاقة أردوغان الفريدة بشعبه. وقال سرت: "إنها ثقة يعطونه فيها شيئاً على بياض"، مضيقاً أن الفشل في فهم طبيعة هذه الديناميكية هو ما دفع الكثيرين للاعتقاد بأن أردوغان سيخسر الانتخابات البرلمانية والرئاسية في مايو. وفاز هو وحزبه الحاكم، حزب العدالة والتنمية، على حد سواء.

ويتفق مع هذا الطرح عثمان أتالاي، المخضرم في مؤسسة الإغاثة الإنسانية التركية، وهي مؤسسة خيرية إسلامية نشطة في جميع أنحاء العالم. ويرى أتباع أردوغان أنه وحزب العدالة والتنمية في أزمة كبيرة وأن الاقتصاد في حالة يرثى لها وأن تركيا تتعرض لضغوط شديدة من أمريكا وأوروبا. وبالتالي، ليس أمامه خيار آخر سوى تغيير المسار، مهما كان الأمر مؤلماً، وفقاً لـ أتالاي.

وأضاف أن هذه العقلية الحزبية تتسامح مع مثل هذه المناورات ولا تلوم القائد على ما يصلون إليه من فوضى. وتظهر جولة أردوغان الأخيرة لجمع الأموال للسعودية وقطر والإمارات في هذا السياق. وكذلك تحركاته للحد من أنشطة الإخوان المسلمين داخل تركيا، والتي تشمل إغلاق قناة مكملين - وهي قناة معارضة تبث من اسطنبول - وربما تسليم شخصيات الإخوان الذين تطالب مصر بتسليمهم، وهو ما قد ينتظره السيسي قبل اجتماعه المخطط له مع أردوغان، بحسب الموقع.

وقال أتالاي إن ما لن تدافع عنه قاعدته هو "الخيانة الحقيقية"، وهي التي ستكون حالة يتنصل فيها أردوغان من تصرفاته الأولية أو ينكرها.

والخطأ الشائع الآخر هو الخلط بين الولاء لأردوغان والولاء للعقيدة الإسلامية. فالولاء لأردوغان يعني لديهم الولاء لعقيدتهم. وقال طارق سيلينك، المفكر الإسلامي البارز، "إنها ظاهرة تشبه العبادة حيث يعمل الدين والإيديولوجيا كدعامات شرعية". وأضاف سيلينك أنه بعيداً عن حدود تركيا ومدى وصول آله الدعائية الهائلة، لا يزال يُنظر إلى أردوغان على أنه صوت المسلمين المضطهدين ومعاداة الإمبريالية.

ويشير الموقع إلى أن هذا قد يكون أحد أسباب عدم اعتراض عديد من المصريين على التطبيع مع تركيا أيضاً. وقالت شهيرة أمين، الباحثة في أتلانتك كاونسيل، "يرحب معظم المصريين باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع تركيا، لأنهم يرون تركيا حليفاً مهماً في المنطقة". وأضافت: "يفضل الكثير من المصريين أن يروا مصر تتفق مع دولة لها تاريخياً علاقات ثقافية واقتصادية عميقة الجذور مع مصر وتشاركها قيمها الإسلامية بدلاً من الغرب".

السيسي في موقف أقوى

وفيما يخص السيسي، فإن مشاكل بلاده الاقتصادية هي التي تدفعه إلى التقارب. وأشارت شهيرة أمين إلى أنه "من الواضح أن حلفاء مصر الخليجيين أصبحوا مترددين في تقديم مساعدات غير مشروطة لمصر". وقالت إنه وفي حين ازدهرت العلاقات التجارية بين تركيا ومصر حتى في ذروة التوترات حول ليبيا، حيث دعموا أطرافاً متعارضة في الصراع، "تأمل القاهرة في أن يجلب التقارب معها استثمارات تركية تشتد الحاجة إليها".

من جانبها ترى أمي هوثورن، التي تت رأس مجموعة العمل الخاصة بمصر والمؤلفة من الحزبين في أمريكا، بعض أوجه الشبه بين أردوغان والسيسي. فكلاهما مستبد لكن لا ينظرون لبعضهما النظرة ذاتها. وقالت هوثورن إن كل واحد يعتقد على الأرجح أن لديه شرعية أكبر للحكم ومطالبة تاريخية أكبر بالقيادة الإقليمية مقارنة بالآخر.

لكنها تجادل بأن السيسي "خرج في وضع أقوى مع انتهاء الخلاف". وعلى عكس ما كان يأمله أردوغان قبل عقد من الزمان، لم يُجبر نظام السيسي العسكري على التنحي عن السلطة. وانتقل العالم بسرعة من قبول انقلاب السيسي. ولأنه قرر أنه في وضع جيد الآن يمكنه من تحقيق مكاسب مهمة من أردوغان - وهو ليس مخطئاً في ذلك - أعتقد أن السيسي له اليد العليا هنا، على حد قول هوثورن. ولن يزعج أي من هذا على الأرجح قاعدة أردوغان. إنهم يعتقدون أن كل ما يفعله هو من أجل الصالح العام حتى عندما لا يبدو واضحاً ما يفعله. وأكد سرت: "إنهم يرون مستقبلهم ومستقبله باعتبارهما وحدة واحدة".